المحاضرة الخامسة

تذوق موسيقي لطلبة السمعية والمرئية/ الفصل الثاني

الموسيقى التصويرية والموسيقى في الفلم

توضع الموسيقى الأفلام غالبا بعد رؤية مؤلفا للفلم منتهيا، اما في الأفلام التي تتطلب موسيقى خاصة بها كأغنية أو غيرها فيتم تأليف وتسجيل الموسيقى قبل تصوير المشهد، وتتألف موسيقى الفلم عادة من سلسلة منفصلة مدة كل منها يتراوح بين لحظات وبضع دقائق، أم الموسيقى التي تتعدى الخمس دقائق مثلا فهي حالة استثنائية وتتطلب توظيفها بشكل دقيق.

وقد سبقت الموسيقى التصويرية الحوار في الأفلام الصامتة، والتي كان من ابرزها افلام (شارلي شابلن)، لعدم توفر تكنولوجيا استخدام الأصوات البشرية في حينها، فقد كان يتم التعبير عن المشاهد من خلال عرض الفلم الصامت على شاشة ويقوم العازف أو المؤلف الموسيقي بعزف ما يناسب المشهد، وبالتالي فأهمية الموسيقى التصويرية هي وصف المشاعر واحدى الأدوات الرئيسة التي تعزز الأثر السيكولوجي للفلم.

وقد اكتشف مؤلفو الموسيقى التصويرية السينمائية سر فاعلية هذه المهمة منذ بداية عصر السينما الناطقة ونقل الموسيقيون عن اوبرات الموسيقار الألماني (فاجنر)، فكر الموضوع الموسيقي أو اللحن الموسيقي المقترن بشخصية أو بمكان أو بشيء الى الأفلام السينمائية، ومع تطور سرد القصة السينمائية تجمع هذه الألحان الموسيقية معاني وذكريات جديدة ومع نهاية الفلم يكون لهذه الألحان وقع كبير على المتلقي.

في الأفلام السينمائية لم تبدأ الموسيقى التصويرية مع الأفلام الناطقة بل سبقتها بسنين، وأدرك الموسيقيون الأوائل أهمية دور الموسيقى التصويرية، وقد كتب المؤلف الموسيقي الفرنسي (كاميل ساينت ساينز)، موسيقى تصويرية للفلم الفرنسي الصامت (اغتيال دوق دوجايز، ١٩٠٨)، أي قبل ظهور أول فلم ناطق وهو فلم (مغني الجاز)، بتسعة عشر عاما.

من الناحية النظرية يمكن ان تنقسم الموسيقى التصويرية وموسيقى الأفلام الى فئتين:

الفئة الأولى: تنتمي هذه الفئة الى الموسيقى المعزوفة في موقع المشهد، أي التي يسمعها الأبطال والممثلون، أو يكون مصدر الموسيقى موجدوا في الصورة، وتسمى تلك الموسيقى بالموسيقى الواقعية والمبررة، ويمكن اعتبار (موسيقى داخل الصورة)، هو التعريف الأكثر دقة لها، وعلى ذلك النحو يمكن استعمال الموسيقى الشائعة اليومية والشعبية، كذلك موسيقى التقاليد الأكاديمية.

أما الفئة الثانية: فهي موسيقى ما وراء الصورة، تعزف للمشاهد فقط، والممثلون لا يشعرون بها، كما الصوت خلف الصورة، وهي تقود المُشاهد عبر الفلم، وتفتح له رؤية المؤلف وموقفه من الشخصيات، ويسمى ذلك النوع من الموسيقى احيانا بـ(موسيقى المؤلف).

إن تقنيات استخدام الصوت في الصورة السينمائية المختلفة رغم استخدامها، إلا أن بعضها غير شائعة في الممارسات السينمائية، أما موسيقى ما وراء الصورة فقد كانت جزءا لا يتجزأ من الصورة السينمائية، وتسمى تلك الموسيقى بموسيقى الخلفية.

وبناء على ذلك فأن تجسيد الموسيقى داخل الصورة يختلف عن تجسيدها وراء الصورة، لكن وظيفتهما في سياق الفلم واحدة، تساعد الموسيقى داخل الصورة على كشف طبيعة البطل من خلال موقعه، وغالبا ما تأخذ ذلك الدور على عاتقها الأغنية، التي تكاد تكون محددة النوع الفني كما في السينما السوفييتية خلال فترة الثلاثينيات (فولغا فولغا، شباب مرحون وغيرها).

ويمكن للموسيقى داخل الصورة ايضا مساعدة المخرج لتحديد حقبة الحدث الجاري، أو تحديد ملامح النوع الفني للقصة، وتبيّن الى أي شريحة اجتماعية ينتمي الأبطال وما هو مستواهم الثقافي.

ترتبط الموسيقى خلف الصورة مباشرة بالمحتوى العاطفي والدلالي للفلم، وعند ظهور السينما الناطقة تحدد نهجان رئيسان لبناء التشكيل الموسيقي للفلم، وغالبا ما يتعايش النهجان حتى داخل الفلم الواحد، وإن اوجه الاختلاف والتشابه الأساسية بينهما، النهج الأول تنتمي الموسيقى عاكسة الحدث على الشاشة بشكل كامل معطية بذكاء للصورة الدور المهيمن، وتعزز الصوة المرئية وتسمى تلك الموسيقى بالموسيقى التصويرية.

ويعتمد النهج الثاني على الرفض الواعي من صانعي الفلم الدوبلير الصوتي للصورة المتحركة، وتؤثر تلك الموسيقى السينمائية كثيرا على تصويرية الفلم ككل.

ويمكن تلخصي كل ما جاء بالنقاط التالية:

١- تنقسم الموسيقى التصويرية وموسيقى الأفلام الى فئتين.

٢- الفئة الأولى: تنتمي هذه الفئة الى الموسيقى المعزوفة في موقع المشهد (موسيقى داخل الصورة).

٣- الفئة الثانية: موسيقى ما وراء الصورة (موسيقى المؤلف).

٤- تجسيد الموسيقى داخل الصورة يختلف عن تجسيدها وراء الصورة، لكن وظيفتهما في الفلم واحدة.

٥- الموسيقى داخل الصورة تساعد المخرج على تحديد حقبة الحدث الجاري، او الطبيعة الاجتماعية للأبطال وغيرها.